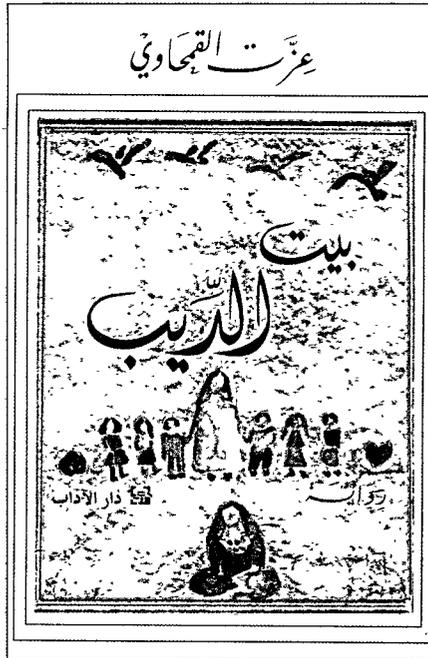


إلا وأنا أركض في الزقاق الذي أتيتُ منه. وإذ توقفتُ قليلاً لآلتقط أنفاسي، أدركتُ فجأةً أنّ صاحبي يجلس في أحد المقاهي ينتظرني وهو يرشف شيئاً أسود. أو ما إليّ فاقتربتُ تم جلستُ إلى جانبه. - أخبرني، كيف كانت الرحلة؟ - لم أجرو على الدخول، قلتُ كاذباً. - لطالما أدركتُ أنك لا تملك الجرأة أو سعة الخيال للإقدام على مثل هذه الأمور، قال مشاكساً. صمنا لبرهة. رفع كأس الشاي: «فلنشرّب نخب الماضي الذي لن يعود.» «بل فلنشرّب نخبنا،» قلتُ مقاطعاً، وطلبتُ كأساً من الشاي الساخن.

نائمة. عندما كانت أحلامي لا تنتهي، وثقتي بها تزداد يوماً بعد يوم.» «لقد تعبتُ من الحياة أيها الشيخ، من تلك القضبان الزجاجية التي تحاصرني وتعلن موتي القريب. دعني ألق نظرة على ذاك الشاب لأبوح بحيتي له وازدرائي بأحلامه وطموحاته.» علا في الغرفة ضحكٌ فيه بحة. «إذهب يا بني! عجل الله في شفائك وانحسار دائك. أو يعقل أن أريك نفسك، وأنت هنا بلحمك ودمك؟ لا بد أنك جُننت؛ فليس هذا بمقدور إنس أو جنّ.» لم أنبس بكلمة أو أعترض على منطق الشيخ الغريب. وما شعرتُ



يستأنف هذا العمل، بخبرة فتيّة عالية، تقاليد «رواية الأجيال» التي تميز بين حقيقة تاريخية واسعة، من تاريخ مصر، والزمن الإنساني الذي يتكشف في مصائر شخصيات مختلفة. تعود هذه الرواية، وباقتصاد لغوي مدهش، إلى بدايات القرن التاسع عشر، وتوقف في الزمن الراهن الذي نعيش: وهي لا تقصد التاريخ لذاته، وإن كانت تقبض على ما هو أساسي فيه، بقدر ما تجعل منه مرجعاً «خافت الصوت»، يعلن عن تحولات الإنسان وأحاسيسه وآمنه، التي تأخذ أشكالاً كثيرة.

ربطت الرواية بين أحوال الريف المصري، المحكوم بتقاليد قاهرة، ومأساة الإنسان، بصيغة الجمع، التي تتكشف في النداعي والصدام المفاجئ مع غير المتوقع، وفي الحظ العاثر الذي لا يقبل التفسير.

سرد الروائي حكاياته بأسلوب متميز، خالفاً شخصيات واضحة الملامح، تتفاعل جميعاً، منتجة خطاباً روائياً خصيباً ومتعدد المستويات.